تمهيد:

إن الإصلاح التربوي عملية ضرورية أملتها الأوضاع التعليمية السابقة من ضعف النتائج وقصور المنهاج على التكيف مع مستجدات الوقت الراهن هذا من جهة و الالتحاق بركب الدول المتطورة من جهة أخرى ، و على هذا جاءت الحاجة في بلادنا اليوم إلى تجديد وإصلاح المنظومة التربوية قصد تكييفها و تطويرها حتى تواكب التحولات الداخلية والخارجية وتساير التقدم الحاصل في علوم التربية و التعليم ، وهذا ما استدعى إحداث إصلاح تربوي شامل غايته بناء منظومة تربوية حديثة في أهدافها ومضامينها وآليات تسييرها، خاصة المناهج الدراسية من التعليم التحضيري إلى التعليم العالي ،انطلاقا من كل هذا حاولنا في هذا الفصل إعطاء مفهوم للإصلاح التربوي وأهميته ، و أهم خطواته ومؤشراته وكذا ضمانات نجاحه ، ثم تطرقنا إلى الإصلاح التربوي في الجزائر بعد الاستقلال بالإضافة إلى الإصلاحات التربوية الأخيرة خاصة الإصلاحات في المناهج الدراسية.

1- مفهوم الإصلاح :

الإصلاح هو جملة التغييرات التي يتم إدخالها على نظام ما، بهدف جعله قادرا على الاستجابة لمتطلبات المجتمع جزئيا أو كليا.

لقد ارتبط مفهوم الإصلاح بالأدبيات السياسية والدستورية والقانونية والاقتصادية أكثر من ارتباطه بنظام التربية والتعليم. وقد يكون الإصلاح جذريا يشمل البنيتين الفوقية والتحتية للمنظومة، أي مختلف عناصرها البنيوية والوظيفية، وقد يكون الإصلاح سطحيا يعالج جوانب محددة.

2- مفهوم الإصلاح التربوي:

التربية كما حدد وظيفتها "**جون ديوي**" أداة التقدم والإصلاح الاجتماعي, وهي بهذا تجعل منطلق الإصلاح الوعي الاجتماعي الذي يتوافق على أساس نشاط الفرد, ليتم بذلك تجنب أساليب الإرغام والإكراه والتغيير بقوى القانون, وهي الأساليب التي تجعل الإصلاح عديم القيمة والفائدة".[1]

فإصلاح المنظومة التربوية هو أساس أي تنمية اجتماعية واقتصادية، لهذا نال الإصلاح التربوي الاهتمام الأكبر في أغلب بلدان العالم واعتبر من الأولويات ومن الميادين الإستراتيجية التي يتوقف عليها مسار التطور والازدهار الاجتماعي .

- **تعريف الإصلاح التربوي:** الإصلاح التربوي هو مشروع لتغيير وتطوير النظام التربوي في إطار عملية الابتكار والتجديد, ويتم باستثمار المحيط، وأخذ معطياته بعين الاعتبار، وتدبيرها بطريقة رشيدة , و نتائجه تتحدد بالمردود الذي يحققه.

[1] احمد فؤاد الاهواني.جون ديوي.**من سلسلة نوابغ الفكر العرب**.دار المعارف. ط 2,القاهرة.1968.ص172.

3- علاقة الإصلاح ببعض المفاهيم:

هناك الكثير من المصطلحات القريبة من مفهوم الإصلاح والتي نرى لها علاقة بهذا المفهوم يجب الإشارة إليها نذكر منها:[1]

- **الاستحداث:** وهو فكرة أو شيء أو عملية جديدة تصطنع من عناصر أولية وتوجه نحو هدف محدد, وهو المصطلح الذي يعبر عن المفهوم السائد للإصلاح والتجديد التربوي، مع أنه أخذ عن الكلمة الانجليزية innovation التي تدل المعاجم ، على ترجمتها لمصطلح التجديد وليس إعادة البناء reconstruction . [2]

- **التجديد:** يعني إضافات قشرية إلى بنية قائمة فعلا, اي إدخال العديد من المستحدثات وهو اعم من المعنى الاستحداث ورغم تقديمه لهذا المعنى في هذا السياق العام إلا أن تفضيل المصطلح الاستحداث عليه يجعل معناه التربوي أقرب إلى هذا السياق.

- **التحديث:** يعني إدخالبعض الطرق حديثة بدلا من طرق قديمة للحياة , كما أن التحديث يتضمن إدخال العديد من المستحدثات وهو بذلك أعم في المعنى من المستحدثات وهو معرف عند "**فيليب ميريو**" بأنه تحسين أنماط التدبير وأساليبه وتحديد المعارف والوسائل الموضوعة رهن إشارة المؤسسة التربوية والفاعلين التربويين والقابلية للتوظيف من قبلهما.[3]

وهو بهذا يختلف عن مفهوم الإصلاح الذي يتخذ شكل التغيرات الحاسمة عنده وقد عرف أيضا بأنه مختلف العمليات وتدابير الانتقال بنظام تربوي معين من وضعية تقليدية متقادمة الى وضعية حديثة مستجدة.

---

[1] عبد الكريم غريب وآخرون. **معجم علوم التربية**. **مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيكات**. منشورات عالم التربية. ط3. الدار البيضاء. 2001. ص165.

[2] محمد بوبكري. **في إصلاح نظام التربية والتكوين**. في عالم التربية مجلة فصيلة العدد14 الجديدة (المغرب). 2004. ص17.

[3] مصطفى محسن.**الخطاب الإصلاحي التربوي:بين أسئلة لازمة وتحديات التحول الحضاري(رؤية سوسيولوجية نقدية)** , ,المركز الثقافي العربي, ط 1, الدار البيضاء.1999 . ص58.

أما أحمد **حسين اللقاني** فيعرف الإصلاح:" بأنّه النظر في النظام التربوي القائم بما في ذلك النظام التعليمي ومناهجه ، من خلال إجراءات الدراسات التقويمية، ثم البدء في عملية التطوير وفق مقتضيات المرحلة الراهنة و الرّؤى المستقبلية للنظام التربوي، وفي هذه الحالة تكون الاتجاهات العالمية ومظاهر التجديد التربوي من أهم الأمور التي توضع في الاعتبار "[1].

ويعرفه **حسن البيبلاوي:** " بأنه تلك التعديلات الشاملة الأساسية، في السياسة التعليمية التي تؤدي إلى تغيرات في المحتوى و الفرصة التعليمية و البنية الاجتماعية ،أو في أيٍّ منهم في نظام التعليم القومي في بلد ما"[2].

لذلك فإن مفهوم الإصلاح التربوي هو التعديل والتغير المدخل على النظام التربوي و الذي يخص مواطن الخلل والنقص فيه ، وهو أيضا إعادة النظر في النظام التربوي والتجديد فيه، بما يتماشى ومتطلبات المدرسة وحسب التطورات الحاصلة التي تتعلق بالمجال التربوي

4- أهداف الإصلاح التربوي:

يهدف الإصلاح التربوي في مجمله إلى البحث عن النجاح التربوي , وإنتاج نموذج إنساني صالح ومتكيف و متكامل مع نفسه ومع مجتمعه من جهة , ومن جهة أخرى يكون منسجما مع طبيعة السلطة القائمة واتجاهاتها وطبيعة فهمها للواقع وتسييره فذلك يعود لأهداف المجتمع وفلسفته والإيديولوجية القائمة.

ودواعي الإصلاح في الجزائر يمكن تلخيصها فيما يلي:

- الانتقال إلى النظام الاقتصادي الحر.
- الانتقال إلى النظام الديمقراطي على المستوى السياسي.
- التطور المذهل للعلم والتكنولوجيا وكذلك علوم التربية.

---

[1] أحمد حسين اللقاني، علي أحمد الجمل: **معجم المصطلحات التربوية المعرفة بالمناهج وطرق التدريس** ،عالم الكتب, ط2, 1999،ص32

[2] حسن حسين البيبلاوي:**سيكولوجية الإصلاح التربوي في العلم الثالث**،عالم الكتب ،القاهرة ،1998،ص10

– التحضير لممارسة المواطنة بمفهومها الديمقراطي, وذلك بتلقينهم الثقافة الديمقراطية وروح التسامح والحوار كأسلوب حضاري راق.

– تنمية الكفاءة والاعتماد على النفس من خلال تطبيق طرائق بيداغوجية أكثر فعالية واعتماد مقاربة الكفاءات .

– تكوين مواطن مزود بمعالم مرجعيات وطنية تعكس القيم الحضارية.[1]

5- خطوات الإصلاح التربوي:

هناك خطوات رئيسية للإصلاح ينبغي إتباعها ومن أهمها:

أولا: جمع المعلومات وتحليلها:

– تشخيص نقاط الضعف و تحديد أولوياتها.

– تحديد العوامل المسؤولة عن الضعف و التي تحتاج إلى تغيير.

– الموازنة بين بدائل علاج الضعف أو تصحيحه.

– اختيار البديل الأفضل للتصحيح و الاتفاق عليه.

ثانيا: اختيار الإستراتيجية: و يتطلب الإجابة عن الأسئلة التالية:

–أيّ أنواع الإصلاح سيتبع؟

– من الذي سيقوم برسم خطة التنفيذ؟

– ما شروط التنفيذ وأوضاعه البيئية؟

ثالثا: تنفيذ الإصلاح:

– تحليل متطلبات تنفيذ الإصلاح من تدريب المدرسين و العاملين، وتوفير المواد التعليمية و المتطلبات المادية الأخرى.

– القيام بحملة توعوية للعاملين و القائمين بالإصلاح، و توفير الحوافز المادية و المعنوية لهم.

– البدء بتجريب إستراتيجية الإصلاح المختارة على نطاق ضيق قبل تعميمها.

[1] فريد عادل,**لماذا إصلاح المناهج وكيف؟** مداخل المنتدى حول الكفاءات والمعارف بتاريخ 29 أكتوبر 2001.

– بدء الأنشطة التمهيدية المصاحبة والقيام بها.

– متابعة التجربة الاستطلاعية للإصلاح من خلال نظام التغذية المرتدة.

– إدخال التعديلات التي كشفت عنها متابعة الأنشطة للتجربة الاستطلاعية.

– تعميم الإصلاح في ضوء النتائج النهائية التي كشف عنها التطبيق الأولي.

– العمل علي استمرار مساندة و تأييد التحول من النظام القديم إلى الإصلاح الجديد.

رابعا: تقويم الاصلاح:

– متابعة التنفيذ من خلال جهاز خاص للمتابعة و التقويم، وإدخال التعديلات المطلوبة أثناء التطبيق حيث يعتبر التقويم جزء رئيسي من أي برنامج للإصلاح، ويجب أن يشترك في تقويم المعلمين و المسؤولين عن البرامج ، إلى جانب المستشارين و الخبراء و المهنيين.

6- عوامل نجاح الإصلاح التربوي:

هناك عدة اعتبارات رئيسية يجب مراعاتها عند القيام بالإصلاح التربوي يراها الدكتور "**منير مرسي**" هامة في توفير ضمانات النجاح وهي:

– أن يكون هناك تفهما كاملا للإصلاح المطلوب تطبيقه من جانب القائمين به.

– أن يتوفر لدى القائمين بالإصلاح التربوي القدرة على القيام به.

– أن تكون المصادر والموارد الضرورية المطلوبة متوفرة.[1]

– أن تكون الإجراءات والترتيبات داخل المنظمة متماشية مع الإصلاح ولا تتعارض معه.

– أن يكون القائمين بالتنفيذ على استعداد لبذل الجهد وتحمل الوقت الزائد الذي يتطلبه الإصلاح.

– أن تتم تهيئة أذهان الناس في المجتمع بما في ذلك الآباء للتغيير الذي يحدثه الإصلاح ومحاولة كسب تأييدهم ومساندتهم وعمل لقاءات بين المهتمين بالإصلاح والمتأثرين به.

– أن يتوفر نظام جيد للاتصال والتواصل بين القائمين بالإصلاح من ناحية وبين المسؤولين وأجهزة الإعلام من ناحية أخرى. [1]

[1] محمد منير مرسي.**الإصلاح و التجديد التربوي في العصر الحديث**، جامعة عين شمس ,ط2،1999،ص48

7- أبعاد الإصلاح التربوي:

يتضمن الإصلاح التربوي بعدين رئيسيين ,يمثل كل بعد منهما محورا أساسيا لا يمكن إهماله لأن في ذلك تهديدا لنجاح الإصلاح, وهذه الأبعاد هي:البعد التنظيمي ,البعد البيداغوجي.

ا- **البعد التنظيمي:** يقصد بالبعد التنظيمي كل ما يتعلق بهيكلة التعليم وتنظيمه وتحديد التشريعات وتقسيم السلطات وسن القوانين التي تسيرها, فالأنظمة التربوية لا تأخذ شكلا واحدا من الهيكلة, كما أنها تغير القوانين والتشريعات كلما تطلب الأمر .

كما ورد فيما يتعلق بتنظيم التعليم وفتح الباب أمام التعليم الخاص, بحيث يكون جزءا لا يتجزأ من النظام التربوي الوطني.[2]

ب- البعد البيداغوجي: يقصد بالبعد البيداغوجي كل ما يسمي العلاقات المباشرة بين الأطراف المشكلة للموقف التعليمي, من مناهج دراسية ووسائل تعليمية وأساليب واستراتيجيات تدريسية وهي أكثر المجالات التي يعتبر التغيير والتجديد فيها سريعا إذا ما قورنت بالمجالات الأخرى.[3]

8- مراحل الإصلاح التربوي بعد الاستقلال:

لقد مرت المنظومة التربوية بمراحل عديدة بعد الاستقلال وواجهت مشاكل كثيرة ورثتها من الاستعمار، وسنتعرض فيما يلي إلى المراحل التي مر بها الإصلاح:

ا-المرحلة الأولى: (1962-1970):

تميزت بارتفع عدد المتمدرسين من 35000 تلميذ خلال الموسم الدراسي62/61 الى 757000 تلميذ خلال الموسم الدراسي 63/62 والتوظيف المباشر للممرنين والمدرسين ،

---

[1] محمد منير مرسي.مرجع سابق ،ص48

[2] وزارة التربية الوطنية.**مخطط العمل لتنفيذ إصلاح منظومة تربوية** .أكتوبر .2003.ص9.

[3] محمد منير مرسي ,مرجع سابق ص75.

لأن غداة الاستقلال خرج جميع المعلمين مع خروج المستعمر .كما بدأ العمل على تعريب البرامج ، و تنصيب لجنة لإصلاح المواقيت والمناهج ، وآخرها اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم التي نصبت سنة –1969–[1]

ب–المرحلة الثانية: (1970–1980):

في هذه المرحلة كانت هناك إصلاحات جذرية مستمدة من المخططات الرباعية ، وقد مس إصلاح المنظومة التربوية والمناهج والقوانين كما تم هيكلة المنظومة ككل، ومن بين المشاريع الإصلاحية وثيقة إصلاح التعليم في سنة 1974 التي صدرت بعد تعديلها في شكل أمر رئاسي 76/35 المؤرخ في 16 أفريل 1976 .

والذي تم بموجبه إنشاء المدرسة الابتدائية ذات 09 سنوات التي تتخللها 03 أطوار، وانطلقت كمرحلة تجريبية سنة 1977 ،حيث كان شعارها "عربية اللسان اسلامية الروح جزائرية المنهج".

دخل مشروع المدرسة الأساسية بعد أخذ ورد في الأخير تم تنفيذه في الموسم الدراسي 1980–1981، ولقد شكلت أمرية 16 أفريل 1976 ، تحولا عميقا في مجال الإصلاحات التربوية حسب ما ذكر في وثيقة المجلس الأعلى للتربية[2].

ج–المرحلة الثالثة: (1980–1990):

ما يطبع هذه الفترة أساسا هو تطبيق المدرسة الأساسيةكما ورد في الامرية76/35، إذ تم تصورها على أنها مدرسة قاعدية .

- مبادئ عامة تحدد التوجهات الكبرى للمدرسة الاساسية :
- مبدأ ديمقراطية التعليم: لكل طفل جزائري يبلغ 06 سنوات الحق بمقعد دراسي.
- مبدأ مجانية التعليم: يحصل كل التلاميذ بأثمان رمزية على كل الوسائل التعليمية واللوازم المدرسية.

[1] وزارة التربية الوطنية، سبتمبر 1994، مرجع سابق ،ص02 .

[2] – المجلس الأعلى للتربية، **المبادئ العامة للسياسة التربوية** ، الجزائر ، 1998، ص 11

- مبدأ إجبارية التعليم: إجبار الأولياء على تسجيل أبنائهم بمجرد وصولهم لسن التمدرس.
- مبدأ التعريب: جعل البرامج الدراسية باللغة العربية.
- مبدأ الجزأرة: جعل التعليم جزائريا في برامجه، بحيث ينبثق من أصالة المجتمع.
- مبدأ الشمولية: المدرسة الجزائرية شاملة لجمع التلاميذ بالمعارف الأساسية والمهارات لتكيفهم في الحياة الاجتماعية.

د-المرحلة الرابعة: (1990-2002):

عرفت هذه المرحلة تحولات جذرية على الصعيد الداخلي والخارجي, فجاءت عدة محاولات لإصلاح المنظومة التربوية للتحسين ومواكبة التحولات حيث مست مختلف أطوار التعليم بأشكال متفاوتة،[1]

ومن هنا جاءت عملية تخفيف محتويات البرامج التي تمت طيلة السنة الدراسية 1994/1993 ثم جاء تعديل سنة 1996 كانت بوادر الإصلاح الأعمق ، تم اختيار النموذج السلوكي, أي التعليم بالأهداف وهذا بموجب القرار الوزاري المؤرخ في 11نوفمبر 2002.

9-العقبات والمشاكل التي واجهت الإصلاح التربوي بعد الاستقلال:

ا- ارتفاع نسبة الأمية: تعتبر مشكلة الأمية من بين المشاكل الأكثر خطرا على المجتمعات، حيث أن هذه المشكلة تعرقل تقدم وسير حركة تطور الدول النامية ، والجزائر بعد الاستقلال، وقفت حائرة أمام رقم قياسي في الأمية جمع بين صغار السن المتأخرون في الدخول المدرسي وكبار السن الذين لم يتلقوا التعليم من قبل.

ب- قلة الموارد المالية والمادية: لقد كانت الحالة الاقتصادية للبلد إبان الاستعمار سيئة جدا و هذا طبيعي بالنظر إلى السياسات التي إتبعتها فرنسا في الجزائر، و لا يخفى علينا أن

[1] - وزارة التربية **الوطنية، وضعية قطاع التربية الوطنية**، أفريل 1998، ص 13.

تلك الأوضاع قد استمرت حتى ما بعد الاستقلال، مما أثر على ميادين كثيرة و قد كان ميدان التربية و التعليم من بين تلك الميادين.

ج- النظرة السلبية للتعليم: ومن بين هذه العوامل هي تلك النظرة السلبية للتعليم حيث اعتبر قطاعا استهلاكيا أكثر منه إنتاجيا، ، فيما كانت الدول المتقدمة تنظر نظرة مغايرة تماما للتربية و التعليم. "حيث إن تلك الدول كانت تثق في أن سعادة الشعب وازدهاره يتوقف على ذكائه و تربيته و يعتقدون أن الإنفاق على التعليم أفضل الوسائل للغنى و الثروة." [1]

د- نقص أجهزة التخطيط و عدم توفر البيانات الإحصائية:

يعتبر التخطيط أمرا ضروريا في أي عملية , وحتى يكون مجديا يجب توفير أجهزة التخطيط وأدوات الضبط والخطط التربوية ، ورغم هذا فإننا نجد أن خططنا التربوية الموضوعة بعد الاستقلال لم تتوفر على هذه الضرورات مما أدى إلى الخلل الكبير في الضبط السليم، والتوجيه الصحيح المبني على المعايير العلمية التي تراعى فيها الظروف و الإمكانات التي تتوفر عليها البلاد.

9- التفسير السوسيولوجي:

الحقيقة أن مسألة الإصلاح ضرورة حتمية فرضها الواقع, و حتى يكون الإصلاح ناجح و ناجع لابد أن يكون نابعا من ذات المجتمع و قيمه يجب أن يراعي خصوصية أفراد هذا المجتمع عاكسا لشخصية أبنائه و لذلك فإن الإصلاحات الفوقية التي انتهجتها الدول الجزائرية لم تجد صداها على مستوى القاعدة ولم تنجح لأنها سياسية أكثر من أنها علمية(جاءت من اجل ايديولوجية معينة).

و قد أرجعت الأسباب إلى خطأ في التطبيق نتيجة التسرع في إجراء الإصلاحات إضافة إلى عدم تهيئة المعنيين بتنفيذها و توضيح كيفية إجراء هذا التنفيذ الى غير ذلك من الأسباب الواهية .

إلا أن الأمر من الناحية السوسيولوجية لا يمكن تفسيره إلا من خلال عامل المقاومة،

[1] – عبد الغني عبود، **الايدولوجيا والتربية** ، دار الهدى للطباعة، ط 1, عين مليلة، 1976، ص247.

الذي ابداه المعلمون من مقاومة هذه الإصلاحات لانهم لم يشركوا في صناعتها ولم يستشاروا في وضعها .كما أنها كانت تحمل بين طياتها قيما وعادات ليست من صميم مجتمعنا,وهذا ما نلاحظه في كتب المرحلة الابتدائية.

وكذلك وجود تناقضات في المنهاج لأنه لم يبنىعلى الاسس المعروفة عند بناء المناهج (الاساس الفلسفي, والمعرفي والاجتماعي والنفسي الحركي) .

لذى لجأ واضعوا المنهاج الى تسهيل الامتحانات و ترك الفرصة للتلاميذ للغش في الامتحانات خاصة في البكالوريا حتى يقال ان هذا المنهاج ناجح .

لماذا كل هذا التمييع لمنظومتنا التربوية .

خلاصة:

من خلال كل ما سبق ذكره في هذا الفصل نخلص إلى أن الإصلاحات التربوية الجديدة للمناهج لها أهمية بالغة في سير نظام المدرسة الأساسية، وذلك بتقديم خدمات التعليم لها حيث توفر كل الإمكانات المادية من وسائل بيداغوجية مثل الكتب المقررة ونحوها من جهة والإمكانيات البشرية بما فيها المعلم وكفاءته وطريقة تدريسه وكذلك المفتشين والمشرفين القائمين على تجسيد المبادئ العامة للنظام التربوي في الجزائر من جهة أخرى ، وفي الأخير يمكن القول أن الإصلاح التربوي موجها إلى الإجراءات مثل نظام اليوم الكامل في المدرسة ونظام الفصول الدراسية وكذلك نظام الساعات المعتمدة ونحو ذلك من التعديلات والتغييرات خاصة في المناهج الدراسية.